

## التربية والتعليم

ذكرنا في العدد السابق من جريدتنا مقالة مضمونها ان من ينظر في تاريخ الامم ويكتنه شؤونها يتجلى له ان القوة والمنعة والغنى وبسطة الملك وسائر موارد السعادة مناطها تعميم التربية والتعليم على الوجه الذي ينبغي . وهذا الامر وان كان بديهياً عند العارفين بالتاريخ لان الوجود الانساني كله شاهد به ودليل عليه فالسواد الاعظم من أمتنا غافل عنه لا يرجع اليه طرفاً ولا يصيخ له سمعاً والتنهون افراد قلائل يرددون الصيحات والنبات ولا ملي ولا مجيب « كمثل الذي ينطق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون »

وان تعجب فعجب قول من سمع الصيحة منهم ان هذا لا ينفع ولا يفيد . ويحتجون بحجج داحضة ذكرنا في المحاوراة السابقة منها حجة الجبر وسلب الاختيار وأتينا على تزيينها بما يقطع السنة المثرين بها بقدر ما يحتمله المقام وبقي لهم حجج أخرى واهية تنبئ عن قلة الاختبار . وانا قبل بسط الكلام على التربية والتعليم نورد ما يثر به الكثير من الناس في الاحتجاج على عدم الفائدة منها ونبين فساده ليكون ذلك أدعى الى تأمله والنظر اليه بعين الاعتبار . ومن الغريب ان ما ادعينا في المقالة السابقة من ان سعادة الامة في التربية والتعليم مبني على المشاهدة والاختيار التام وكذلك شبه هؤلاء على عدم فائدتها تستند على اختبار ومشاهدة لكن ناقصين غير تامين واني مورده عليك فاستمع لما يتلى

\* نشرت في فاتحة العدد ٣ الذي صدر في ٧ ذي القعدة سنة ١٣١٥ -

## احتجاجهم على عدم فائدة التعليم في إصلاح الامة

قالوا انا رأينا كثيراً ممن درج في حجر المكاتب ثم عرج منها الى حجرات المدارس العالية فلقى العلوم والفنون وظهرت عليه امارات النجابة حتى صار قبلة آمال الوطن ومنتحى رجاء أهله ثم لما ألتفت اليه مقاليد الامر فيه كان كلاً على كاهله وقذى في عينه بل كان جائحة متلفة لثماره وصاعقة منقضة على دياره لا يسمى الا لنعمة شخصه وتنسية ماله وان تلفت في سبيله مصالح العالمين

ومنهم من كان هو نالاجني وعتاداً على امتلاك بلاده يمد له الصواب، ويزيل من امامه العوائير والعقاب، ويسهل احتمال سلطته على النفوس بل منهم من باع للاجنبي بلاده بثمن بخس ( وكل ثمن تباع به الاوطان فهو بخس ) أو وعد به ينيط به بعض الوظائف أو يكون مقرباً من جنابه الرفيع، فما أغنت التربية عن امثال هؤلاء وماذا افادهم التعليم؟ اما والله لو لم يتعلموا لما تسنى لهم اقتراف هذه المنكرات ولما فطنوا لاساليبها واهتدوا الى طرقها ولكانت مضراتهم محصورة في دائرة ضيقة مخصوصة بنفر قليل هذا بالنسبة للذين تعلموا العلوم السياسية والحقوقية واما الذين تعلموا العلوم الشرعية الاسلامية فانا نرى الكثير منهم ايضاً قد اتخذها نفخاً لصيد الدنيا، يحتال ويعلم الناس الحيل لهمضم حقوق الله وحقوق العباد وإذا تبوأ منصباً ( كقضاء أو افتاء ) أو صار محامياً لا يأتي ان يجمل الحق باطلا والباطل حقاً ليشتري به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كسبت أيديهم وياليتهم لم يكونوا من المتعلمين

والجواب عن هذا واضح وهو ان هؤلاء وان تلقنوا بعض الفنون الا انهم لم يتربوا تربية صحيحة يبارون بها على دينهم ووطنهم والمسلم من حيث انه ادراك لصور المعلومات لا يقتضي العمل ولئن اقتضى العمل فهو لا يستلزم ان يكون في وجوه الخير والمنفعة لبلاد العامل الا اذا تربى على ذلك - ثم ما يدريك ان المعلمين هؤلاء الخائنين والمريين لهم في المدارس كانوا من الاجانب او من اصطنعهم الاجانب فصبغوهم بصبغتهم، وجذبوا اعنة قلوبهم فقادوها الى محبتهم، وعلموهم كيف يعملون لمنفعتهم، او فرسوا في نفوسهم اعتقاد عظمتهم وقدرتهم، وانه لا يتعاصى عليهم امر، ولا يعز عليهم مطلب، فذلواهم بذلك واستعملوهم كما تستعمل السوائم من الانعام، او اقنعوهم بان السعادة لا تنال الا بايديهم، وان الاصلاح لا يأتي الا على ايديهم، وان قطراً لم يحتلوه محروم من المدنية ورفاهة العيش لا ترى فيه القصور المشيدة، والسرر المنضدة، والطرق الفسيحة ولا تشأ في الخانات والمواخير (أي مواضع الرية وليس هذا من التهم فان السكر والفحش من لوازم التمدن الحديث) الى غير ذلك من المحسنات فعملوا ما عملوا بناء على هذا الاقتناع فهم مجتهدون بأنهم ينتفعون أمتهم من حيث ينتفعون بأنفسهم وفي كل صورة من هذه الصور ترى ان التربية والتعليم افادا المسلم والمربي فاجتتى بهما ثمرات المنافع من خصمه ومناصبه، فكيف يكون أثرهما من مجانبه ومناسبه؟ لعمر الله لعظيم

احتجاجهم على عدم الفائدة من التربية

قالوا ترى كثيراً من الولدان يهمل أمر تربيتهم والوالدون فلا ينتهرونهم ولا يضربونهم ومع ذلك ترى عندم الدعوة ولين الجانب والدمائة والصدق

والوفاء والامانة الى غير ذلك من محاسن الاخلاق والاعمال . وبمكس ذلك نرى بعض الناس يعامله والده باشدة والفاظة ولا يضحك في وجهه ولا ينسط له واذا عمل عملاً قبيحاً صب عليه سوط عذاب أو كما يقول بعض العامة في بلاد الشام (اب العصا بجدو) ومع ذلك تراه كذوباً مرثياً شرساً احقاً خائناً ما كراً فاحشاً متفحشاً سبياً لماناً وبالجملة منغمساً في الرذائل ملطخاً بمجأة المقاذير مسترسلاً في الفجور ولولا الاعتناء بتربيته لما بلغ هذا المدى ولا انتهى في الفساد الى هذه الغاية

والنتيجة من هذه المشاهدات ان الاخلاق مواهب وحظوظ وليست بالتربية . وان التربية ربما عادت على صاحبها بالخذلان وكانت كالدواء لم يصادف محله فاودى بمتاولة واورده مورد الهلاك

فموسى الذي رياه فرعون مرسل وموسى الذي رياه جبريل كافر والجواب عن هذا في غاية الظهور واليك البيان . ان ماملة ائوليد باللين والرفق وأخذنه بالرأفة والحلم وعدم اهاتته بالسب والشتم كل ذلك من أفضل اساليب التربية وانجمها وانجمها اذا لم يقته الى حد الاهمال وإرسال الحبل على الغارب، ان الشدة والقسوة والاهاتة بنز الالقاب وضروب الايام مفسدة للاخلاق ومدعاة للشرور والفجور وان امهات الرذائل كالكذب والخيانة والمكر والاحتيال والمداهنة لا تتولد الا من الظلم والضغط على الحرية الشخصية كما سنوضحه فيما بعد

فهذه الحجة دليل على نفع التربية وفائدتها لا على ضررها . على ان زمام التربية ليس بأيدي الوالدين والمعلمين دائماً بل ربما كان بأيدي الخلقاء والمعاشرين أكثر مما هو بأيديهم . وهناك أصراً خرقتي بالاعتبار

وهو ناموس الوارثة وكل ذلك سننصله تفصيلا .

وأما قولهم : فوسى الذي رياه فرعون الخ البيت المار فهو من حجج الشعراء التي لا يتبهم عليها الا كل غوي مبین . ويعنون بموسى الذي رياه جبريل السامري الذي اتخذ العجل لبني اسرائيل ودعواهم تربية جبريل له باطلة وافيكه اتحلها هذا الشاعر الغوي الذي جعلوه قدوة لهم ولعمري ان فيها غمزة بمقام روح القدس وأمين الوحي عليه السلام . والحق ان جبريل انما ربي موسى الرسول لأنه هو الروح الذي يؤيد الله تعالى به الرسل والانبياء لا العواة الاشقياء (نموذ بالله من غلبة الجهل)

وياليت شعري هل يقولون بأن تربية فرعون لموسى كان لها دخل في ارتقائه الى مقام الرسالة؟ لا وانما يحتجون بذلك على عدم وجود فائدة للتربية بالكلية وجعل هؤلاء الحقي ان الدين اجتوا فوائده التربية من أهل أوروبا وثبت لديهم بالاختبار والمشاهدة اللذين هما أقوى الادلة والبراهين قد جعل بعض ملاحظتهم كلام هذا الشاعر شبهة على الطعن بنبوته موسى عليه الصلاة والسلام وزعموا ان نشوءه في بيت الملك و تربيته في حضن السياسة والشريعة المصرية قد نبها فكرته للقيام بتلك الدعوة التي حرر بها أمته وان ماجاء به من الشريعة مقتبس من شريعة المصريين مع تنقيح ونحوير يناسب حال شعب اسرائيل (نموذ بالله من هذا الضلال البعيد) وليس المقام هـ :امقام ودشبه الملاحدة ولكن لا بد من كلمة تحول دون تمكن الشبهة من فكر الجاهل وهي اذا جاز ان يأخذ موسى ( عليه السلام ) شريعته من شريعة المصريين فهل يجوز ان يكون ماجاء به من المعجزات التي ادهشتهم وابطلت السحر الذي كانوا يخدمون به الناس مأخوذاً من

المصريين؟ كلا بل سؤل لهم الكفر ما يأفكون  
 ثم ان التربية والتعليم متلازمان بمعنى ان الثاني لازم للاول لا يتم الا به  
 بل هو جزء منه لان التربية على ثلاثة ضروب تربية الجسم وتربية النفس  
 وتربية العقل وهذا الاخير هو عين التعليم ثم كل منها يحتاج للعلم والتعليم  
 لكننا نفرد للتعليم مقالات مخصوصة نبين فيها وظائف المعلم والمتعلم وكيفية  
 التعليم ويدخل في هذا البحث في المصنفات واساليبها ونبدأ بالكلام على  
 القسم المهم من التربية وهو تربية النفس المبرعنة بتهديب الاخلاق وموعدها  
 الاعداد الآتية ان شاء الله تعالى

### التمدن

« لبعض فضلاء المصريين \* »

ما وصلت اليه أمة الا وحط عن كاهلها جميع الاتعاب والبلايا .  
 والاضطهادات والزوايا . ولا رقي اليه شعب الا وامن فائقة الاعنت  
 والاعتساف . وتحصنت اعماله من جائحة السلب والاعتداء . فصاحبه سر  
 الساكن في منازل الرغد والهناء . واللابس حلة الاسعاد . تقول ولا  
 مفالة في الحق انه الضامن لتوطيد أركان العمران . والكفيل  
 بتشييد دعائم الاجتماع . كيف لا وهو الحقيقة الجامعة لكل فرد  
 من أفراد الكمالات من غير فرق بين ان يكون أديبا او ماديا حسيا  
 أو منويا فالتفنن في الصناعم فصل من فصوله . والتسابق في ميادين العلوم باب  
 من أبوابه . والتجافي عن مواضع النقيصة جزء من أجزاءه . والتجمل بالاخلاق  
 الفاضلة نبت من جواهره . فاذا آلا بدع اذا قلنا ان صاحبه هو السعيد والواطيء

\* هذا في الاصل وهي من مقالات الأستاذ الامام في الوقائع المصرية